الجمعيات الدينية

وأثرها فى مصر

للأستاذ أبو الوفا المراغى

تكثر الجمعيات الدينية فى مصر كثرة تفوت الحصر ، والذى يقرأ الصحف والمجلات يقرأ منها كل يوم جديدا ، و تلفت نظره عناوينها الضخمة وأسماؤها الخلابة .

وليس من شك فى أن هـذه الجمعيات و إن كثر عددها وتنوعت وسائلها إنما تسعى لغرض واحد ، وترمى الى هدف مشترك ، وهو النهوض بالأمة دينيا وخلقيا واجتماعيا ، وهذا غرض من أنبل الأغراض ، و إذا خلصت له النيات ، وصحت فيه العزائم ، وقدر له النجاح ، كان له فى إسعاد الأمة حظ وفير ، وقدر خطير .

غير أننا إذا ذهبنا نلتمس آثار هذه الجمعيات فى إسعاد الأمة ومقدار نجاحها فى الوصول إلى هذا الغرض ، أتعبنا البحث ، وصعب علينا أن ندرك تطور الأمة إلى الاصلاح بفضل هذه الجمعيات ، وتلك حالة تستلفت النظر وتستوجب البحث وتدعو إلى التساؤل ، وقد تخلص للباحث عن الأسباب فى وقوف هذه الجمعيات دون غايتها أمور جديرة بالدرس والتأمل من القائمين على شؤونها والذين يهمهم أن تكون جمعياتهم ذات أثر وفائدة فى إصلاح الأمة ورقيها الخلقى والاجتماعى ، وقد تكون جديرة بالدرس والتأمل من كل غيور على الدين حريص على كرامته وكرامة الذين يمثلونه ، و يستطيع الكاتب أن يجمل هذه الأمور فى شىء واحد ، هو فقدان هـذه الجمعيات للعناصر الضرورية لنجاحها فى مهماتها ، و إذا أراد أن يفصـل قال إن تلك الجمعيات ينقصها عناصر لا بد منها فى أداء رسالتها ، فكفاية القائمين بالجمعيات و إيمانهم بالفكرة التى يدعون اليهـا و إخلاصهم لهـا ونزاهتهم فيها والأناة وتخير الأوقات المناسبة للدعوة والتنفيذ والمعرفة بأساليب الدعاية والتأثير كل هذه عناصر لا شك فى أهميتها لنجاح الجمعيات .

وكثير من الجمعيات الدينية فى مصر تنقصها هـذه العناصر كلها أو بعضها ، فجمهرة من يؤلفونها فقراء فى مكانتهم العلمية ، وقل أن تجد بينهم من أتم مراحله الدراسية ، بل قعد به حظه واستعداده عن المضى فيها و بلوغ غايتها ، والفقر العلمى يدعو الى التعصب والمماراة والخصام فى جهالة وعناد ، وهم الى جانب ذلك لا يؤمنون عمليا بالمبادئ التى يدعون اليها ، وشر ما يبتلى به الداعى أن يخالف قوله فعله " كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون "

" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " . و إنما يحملهم على الانتظام فى سلك الجمعيات حب الظهور وطلب الشهرة . و إذا فقد الاخلاص فى الجمعيات فقد منها عنصر هو سر الحياة فى الأعمال .

لهذا نرى جمعياتنا تبدأ على أشد درجة من الحماسة والنشاط ، غير أن هذه الحماسة لا تلبث أن تخمد جذوتها وتخبو وتنخفض حرارتها و يقل على إثر ذلك أعضاؤها و يظل عامل الغرض وحب الظهور يفتك بها فتنشق الجمعية الى جمعيات و يتفرع الأصل الى فروع ، وتتخذ الفروع أسماء تغاير أو تشابه أصولها حتى ليدعو بعض هذه الأسماء الى الخزى والأسف وتشيع من جراء هذا الشائعات حول الأعضاء و يكيل بعضهم لبعض التهم فى غير تحرج ولا مبالاة فى أقصى اللهجات وأعنف الأساليب .

و يعوز كثيرا من جمعياتنا معرفة الدعاة فيها بأساليب الدعوة والتهدى لها بهدى القرآن وروح الاسلام ، فدستور القرآن فى الدعوة : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن " ، وعمل الرسول عليه الصلاة والسلام تطبيق عملى لهذا الدستور ، ولقد ظل يدعو الى الإسلام سرا ثلاث سنين ولا يدعو إلا من تطمئن له نفسه ، و يثق بأن يدع السر لديه حتى استوثق لدعوته ثم جهر بها حين واتته الأحوال وتهيأت له الأسباب وكان يخاطب كلا بما يناسبه ، ولكل مقام عنده مقال ؛ وكتبه على هذا النحو من الصواب والحكمة فكتبه الى الأكاسرة والقياصرة غير كتبه إلى أقيال اليمن وملوك العرب لفظا وأسلوبا .

وفى سير أئمة المسلمين وعلمائهم تعاليم نصح من هذا المعين الطاهر . فقد نقل عن الشافعى أنه كان يرى أن تكون النصيحة فى صفاء اذ كان ذلك أنجح لها وأسرع فى قبولها . ومن أهم ما يفوت جمعياتنا تخير الوقت المناسب وتقدير الأحوال التى تحيط بالدعوة و بالمدعوين ، وهذا عامل له أثره فى نجاح الدعوة ، وقد لوحظ فى التشريع الإسلامى ملاحظة ظاهرة فقد تدرجت بعض الأحكام فى التشديد حتى بلغت غايتها واستقرت على حالها الحاضرة ، وقد كانت الخمر مشروبا محببا الى العرب على ما هى عليه من الإثم والضرر فبين القرآن الكريم وجه الضرر فيها ثم حرمها فى الصلاة فحسب ، ثم عمم التحريم ، وعلى هذا الأسلوب جرت الشريعة فى أحكام كثيرة .

ولست فى حاجة الى بيان مقام الصبر من الأعمال ، والدعاة الدينيون أشد الناس احتياجا إليه ، ولقد صبر محمد عليه السلام وصابر ، وضرب بصبر أيوب المثل .

هذه هى العوامل التى لا بد منها لنجاح الجمعيات، ولكنها تفوت كثيرا من جمعياتنا الدينية فتعوقها عن عملها وتقف بها دون غاياتها .

و بعد، فإنى لست ممن يكرهون الجمعيات و يجحدون فضل الصالح منها فى إنهاض الأمم و إسعادها ، ولكنى ممن يحبون دينهم و يغارون على كرامته ، و يبغضون أشد البغض من يعمل على تشويهه وتمكين خصومه منه، وكثير من الجمعيات فى سورها الحاضرة من الفوضى والاضطراب يسىء الى الدين ، و يعطى خصومه أقوى الأسلحه لمحاربته والنيل منه، ومن حقنا بل من حق الأمة أن تطالب وزارة الشؤون الاجتماعية وحدها، أو بالاشتراك مع السلطات الدينية ، بحماية الدين من العبث والتشويه ، وأن تطالب بالعناية بهذه الجمعيات فتفرض عليها نوعا من الاشراف والرقابة وتضع لها نظما وقواعد يكون من أهمها توافر الكفاية العلمية والخلقية فيمن يتصدون للنهوض بهذا العبء الذى تضطلع به هذه الجمعيات .

وليس على وزارة الشؤون الاجتماعية من حرج فى تنفيذ هذه الرغبة، فقد عرفت الأمة الاسلامية هذا النوع من النظام لحماية الدين من العبث والفوضى ، ولم يبح علماء الاسلام رواية الحديث والفقه لمن يريد ، بل شرطوا فيمن يتحمل الحديث و يرويه و يتحمل الفقه و يفتى به قدرا خاصا من الكفاية العلمية وقدرا خاصا من الأمانة والكفاية الخلقية .

وتعرف وزارة الأوقاف الآن هـذا النوع من النظام فلا تسمح بالخطابة والتدريس والوعظ فى مساجدها إلا باذن خاص لمن تعرف صلاحيتهم لهذا الواجب .

و إنا — ونحن فى انتظار ما تعمل وزارة الشؤون الاجتماعية — نسأل الله أن يتولى دينه بالحفظ و يمكن له فى الأرض و يهدينا الى العمل بأحكامه .

أبو الوفا المراغى